لنجه أو بعض الجزر. فالمسافة قصيرة، ولن يعترض طريقكم أحد من هذا الجانب».

فرّ دادا خان مذعوراً مما يسكن رأس أسلم خان. وازداد رعباً عندما علم أن أسلم خان كان يقود تمرد الأفغان والبتان في جبل حفيت، كما قادَ المجموعةَ الآسيويةَ التي اشتبكتْ مع رجال الشرطة احتجاجاً على هدم مسجد في الهند. ولم يعد يتّصل بالشيطان اسلم خان، كان همه الأكثر أن يوفّر الدراهم بكل الطرق.

لقد أصبح الآن رجلاً آخر.

غزو كبير داهم رأسه، وخلخل هذا الجبلَ الصلب.

ها هو يطوف كل الأحياء الشعبية من الساحل إلى الداخل: المرموم، حتا، العين، العوير، الخوان وجميرا. له حكايات كثيرة وتجارب مرة، منذ أن وطئت قدمه هذه الأرض. وهو يتحدث عن تجاربه الخاصة وعذاباته بحسرة.

صوت يطرق الأبواب القديمة:

ـ ليلام.. ليلام.

نسمة هواء طائشة

عبد الحميد أحمد*

زعموا أن ناحل بن راجل العاري الملقّب بأبي جائع المطحون كان يمشي هائماً ذات مساء مثقلاً بالدبق والرطوبة، إذ داعبته نسمة هواء طائشة تحمل رائحة اللّحم المشويّ. كان يحمل رأساً صغيراً، يشبه رأسَ سلحفاةٍ عمرُها ألفُ عام، تصله بكتفيه العريضتين وصدره الواسع رقبةٌ دقيقةٌ كالحبل، وفي وجهه غاصت عينان صغيرتان ذابلتان، بينما امتدّ منخاراه إلى الأمام طويلين كخشم المهرِّج.

شعر ناحل بلذّة غريبة إذ التقط أنفه رائحة اللحم العابقة في الطريق المزدحمة بالناس. في البدء اقتحمت خياله، ثم صعدت إلى رأسه كالسحر، ثم نزلت إلى بطنه كالحصى، ليجد أن لحيته التي لم تطلها موسى الحلاقة منذ مدة طويلة قد تبللتْ بلعابه الذي خرج من جانبيْ فمه ليسيل لزجاً. وصار، وهو يمشي مهموماً تحمله قدمان مفلطحتان عريضتان، يمضغ لحماً مشوياً، كباباً، وتكة وريشاً. ولم تصدِّق «مسحوقة» أنّ أبا جائع يأكل لحماً، إذ دخل عليها البيت في المساء، فنهضتْ إليه خفيفةً كعنزة جبلية، وقالت له:

ـ أأَحلم.. أم حقيقة؟

ـ حقيقة يا أم جائع.

وسألها:

ـ أين جائع، وأين مقهورة ومقموع؟

ـ ناموا جميعهم.

وأضافت:

ـ يا حسرتي، مثل كل ليلة.

لكنّ أبا جائع همس لها بإصرار:

ـ أيقظيهم.. اللحم كثير، ولا يمكن أن يناموا وبطونهم خاوية.

لحظات، وكان ناحل ومسحوقة وأولادهما يتحلقون حول «موقد» أينعت فيه النار جمراً محمرّاً، وأثمر لحماً بهيجاً يفوح منه عطر أخّاذ. وبينما كان أبو جائع يجلس صامتاً كان يقلّب عينيه بين امرأته والأولاد الضاجّين بالمرح وهم يتناولون القطع الساخنة ويمضغونها في اشتهاء ويمصمصون العظام الليّنة، وقد أشرقتْ فوق وجوههم الباهتة شمسٌ صغيرة لامعة، ثم يدفعها باتجاه الدخان الذي غمر فناء البيت في دوائر متّصلةٍ سرعان ما يحملها الهواء بعيداً لتتلاشى. وكانت مسحوقة تقطع عليه صمته بين فترة وأخرى وهي تثرثر:

ـ ليتنا كلّ ليلة هكذا.

ويردّ عليها باقتضاب:

ـ سنأكل لحماً كثيراً... وكلّ ليلة منذ الآن.

ـ وسنخرج إلى الحدائق مع الأولاد.

ـ عليك أن تهتمّي بصحتك يا أم جائع.

ـ لماذا؟ وهل أنا أهمل صحّتي؟

ـ ولدنا القادم أريده سميناً معافى.

ـ قل إنْ شاء اللّه يا رجل.

ـ إنْ شاء اللّه.

ـ هل ستسهر معي الليلة؟

---

* ـ عبد الحميد أحمد: قاص، وكاتب صحفي، ومدير تحرير جريدة **البيان** ـ دبي، ورئيس اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات السابق، والأمين العام لمؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية. صدر له حتى الآن: **البيدار** (مجموعة قصص)، **السياحة في خليج يتوحش** (قصص)، **على حافة النهار** (مجموعة قصص)، **مع الناس** (مقالات صحفية ساخرة).

ـ حتى الصباح يا مسحوقة.

ـ آه.. كدنا ننسى أنّنا بشر لا أخشاب.

ـ سنلعب الورق أولاً.

ـ ثم نشرب الشاي ـ لدينا شاي.

ـ ثم نتعانق..

ـ ...

ـ نتعانق وننام.

ـ ...

ـ هل تستحين؟

لكنّ أم جائع أشارت بعينها إلى الأولاد، فصَمَتَ ناحل، وطفق يتسلّى بالدخان الصاعد حاملاً رائحة لذيذة أثارت في قلبه شهوة الظمأ ونزلت إلى بطنه ثقيلة كالحصى، وصار بدنه يرتعش من لذّة الهضم، ويداه الطويلتان الغليظتان ترتجفان، إذ تلامسان لحماً حقيقياً دافئاً، بشحمه وعظمه، وبقايا دماء فائرة قانية اللون، وتنتقلان ببطء من ذبيحة معلقة إلى أخرى، لتنتقل إلى جسده رعشة ساخنة يحسّها تشتعل في أطرافه وفي عينيه وفي رأسه، ثم تسقطان على الجزّار السمين الواقف في صدر المحلّ وفي يديه سكّين طويلة حادّة وساطور مسنون، ينتظر الزبون الذي ولج عليه المحل كي يبدأ في تنفيذ طلباته. ولما عرف أبو جائع أنه في محل تفوح منه رائحة اللحم الطازج الحارّ، وشعر بالجزار المرتقب، فتح فمه المتهدّل قائلاً: أريد لحماً!

جاءه صوت خشن وحادّ:

ـ كم كيلو؟

ـ اثنان.

ثم أضاف في خفوت، بينما بدأ الجزار يشحذ السكّين على قطعة جلد خشنة متأهّباً:

ـ بكم الكيلو؟

ـ بعشرين درهماً.

كان صوت السكّين إذ كان الجزّار يمرّرها على الجلد جيئة وذهاباً يملأ المكان حفيفاً كحفيف أوراق الشجر. وناحل تسلّلت يده إلى جيبه حيث تقبع العشرة دراهم التي استلمها مساء، بعد أن أنهى عمله اليوميّ، ولم يجدها هناك فشهق شهقة مكتومة انتبه لها الجزّار:

ـ ما بك، هل أنت مريض؟

ومثل طفل يُضْبط متلبّساً، تلعثم ناحل، ثم قال:

ـ لا شيء.. لا شيء، ولكنْ قلْ لي، ألم يكن الكيلو بخمسة دراهم؟

جلجلت في المكان ضحكة مرعدة هزّت الأرجاء، وتأرجحتْ قطعُ اللحمِ المعلّقة كأنها في مهبّ ريح عاتية. كان الجزار يقهقه عالياً وقد انتفخت أوداجه، واحمرّت عيناه اللتان راح يمسحهما بقطعة قماش، وأبو جائع يقلب ناظريه مذهولاً، ليس من الجزار الذي تحوّل إلى لحم مترجرج من أعلاه إلى أسفله، ولكن من ذلك الابليس الذي استطاع أن يسرق من جيبه أجرة يومه، ليقف في خنوع وانكسار أمام الجزّار، الذي هدأت رعوده أخيراً، وقال ساخراً:

ـ إما أنك مجنون، أو أنك غريب عن المدينة، أو أنك...

ثم سكت برهة، وقال مقطّباً حاجبيه الكثيفين:

ـ دعني أسألك... منذ متى لم تشتر لحماً؟

ثم عاد مزمجراً بضحكته المجلجلة، وقال هازئاً:

ـ منذ عشر سنين كان بخمسة دراهم. هل كنت ميتاً وعدت إلى الحياة الآن؟

وعادت ضحكته تدويّ وتصفع الجدران صفعاً ثم ترتدّ أصداؤها المريرة كالمسامير تلفح وجه ناحل، وتنغرس في أنفه الطويل الممتدّ إلى الأمام في وقاحة وقبح، وشرع الرعاف ينزّ منه، ليتساقط قطراتٍ قطراتٍ على لحيته التي لم تذق طعم الموسى منذ مدة طويلة، واختلطت فيما بعد بالدماء الفائرة المنبثقة من أصابعه اذ راحت تلامس السكّين بشهوة في البداية، ثم تضغط عليها ضغطاً مميتاً، حتى انفصلت من راحتي يديه.

كان يشعر بلذّة كلذّة اللحم المشويّ الحارّ وكطعمه الخرافي الذي حملتْ رائحتُهُ نسمةً طائشة، هائماً في فراغ لا يحس فيه برنّات ضحكات الجزّار المتواصلة الصاخبة. لذيذة سخونة الدم، التي لوّثت ثيابه من أصابعه المبتورة، ومن يديه اللتين راحتا تضغطان الساطور والسكّين لينغرسا في لحم ناحل الذي أصبح الآن مزقاً من اللحم والعظم في نافورة من دم. كانت السكّين والساطور تفرمان أبا جائع فرماً وهو منتشٍ انتشاءً لم يشعره طيلة حياته، كمن تدغدعه امرأةٌ فاتنةُ السحر يلج فيها ويغيب في الرعشة الأزلية الموجعة.

وبعد أن تناثرتْ أشلاءُ ناحل في أرجاء المحلّ، ولطّخت دماؤه الصفراءُ الجدرانَ، كان الجزّار قد توقّف عن ضحكه المرّ وصخبه المدوي، فبدأ في جمع المزق واللحم المتناثر وَوَضَعه في واجهة المحلّ، ثم حمل الأحشاء القذرة ورأس أبي جائع الصغير الذي يشبه رأسَ سلحفاةٍ عمرُها ألفُ عام، وألقى بها في صندوق القاذورات، حيث الأحشاء والسيقان والأظلاف والشعر والشحم الزائد والروائح النتنة المنبعثة منه في الركن الخلفي من الدكان. وعاد إلى الواجهة ينتظر زبوناً جديداً، في اللحظة التي خرج فيها من الصندوق صرصور أسودُ اللون هزيلٌ، دبّ على الأرض زاحفاً من بين رجلَي الجزّار، وخرج إلى الشارع، متلمساً طريقه على الرصيف في حذر وتردّد.

كان يتجنّب الأرجل الكثيرة التي تضرب الرصيف وتمضي، دعسة واحدة وينتهي. وزيادة في الحذر توقّف حين لمح شقاً في جدار، ثم اندفع إليه وكمن فيه مراقباً حركة الأرجل السريعة التي تذهب في اتجاهين حتى هدأتْ ثم توقّفتْ نهائياً.

كان الرصيف خالياً آخر الليل فخرج مطمئناً، وزحف ببطء على الرصيف حتى وصل إلى بالوعة مفتوحة. ودون تردّد هبط فيها بعد أن أعياه التعب والزحف، غير عابئ بالرائحة الكريهة والظلام الحالك. شعر بأمان تامّ فراح يتأمّل دوائر الظلمة المتكاثفة من حوله ويعصر بطنه عصراً يغالب به الوخز الدامي، منتظراً طلوع الصباح بفارغ الصبر.

وحين أشرقت الشمس تأهب للخروج بحثاً عن طعام، وكانت الحركة قد عادت إلى الرصيف الميت، ومرّ عمال البلدية في أول الصباح يلتقطون النفايات ويبيدون الحشرات. فداهمته أبخرة داكنة اقتحمت عليه البالوعة وسدّت أمامه المنافذ فلم يستطع الخروج. وسرعان ما ملأ البخار السامّ جوفهُ فسقط ميتاً في القاع، وحملته المياه في البالوعة مع أشياء أخرى إلى البحر الكبير حيث التهمته سمكة إفطاراً لها.

هذا ما زعموه عن ناحل بن راجل العاري الملقّب بأبي جائع المطحون، إذ كان يمشي هائماً ذات مساء فداعبته نسمةٌ طائشة، لكنهم لم يزعموا أنّ أبا جائع صار صرصوراً، كما لم يخبروا عن مسحوقة وأبنائها شيئاً.

سحابة صيف

محمد المر

دخل جمال إلى حجرة أخته حصّة في مستشفى الولادة. فشاهدها مستلقيةً على السرير، وعلى شمالها جلستْ أمه وأخته الكبرى. صاحت لدى رؤيته:

ـ جمال، أخي، حبيبي.

تقدّم جمال ووضع باقة الزهر الكبيرة التي يحملها بالقرب من النافذة، وقبّل أخته على رأسها وجبهتها. كان لونها شاحباً وظهرتْ علاماتٌ سوداء تحت عينيها. قال بهدوء:

ـ ألف مبروك يا حبيبتي، أخبروني أنه ولد.

قالت بامتنان:

ـ شكراً يا أخي. ما أجمل الزهور التي أحضرتها! أنت كلك ذوق وأدب وإحساس، لو سمحوا بزواج الأخوة لتزوّجتك، فأنت رجل كامل وعظيم.

ضحك وقال:

ـ ملوك الفراعنة كانوا يتزوّجون أخواتهم.

قالت والدتهما بحنق ساخر:

ـ لا يوجد فرعون في هذه الدنيا إلا خالد، الزوج الذي ابتليتْ به هذه المسكينة.

قالت حصّة بخليط من الغضب والحزن:

ـ تصوّر يا جمال، لم يأت خالد ليطمئنّ على ولادتي. كل النساء اللواتي ولدن معي في الليلة الماضية كان معهنّ أزواجهنّ، يتعاطفون معهنّ، ويشدّون من أزرهنّ، ويرافقونهنّ إلى حجرة الوضع، ويحملون أحذيتهنّ في أكياس الورق بعد أن يجلسن على الكرسي المتحرّك الذي يأخذهنّ إلى حجرة الوضع. بعد ذلك يبقون في قلق وتوتّر أعصابٍ ودعاءٍ وضراعة، وعندما يُبَشَّرون بالولادة لا تكاد دنيا تسعهم من الفرحة، فيوزّعون النقود على الممرّضات وعاملات النظافة في المستشفى، وعندما تُحضر الممرضاتُ المولودَ فإنّ والده يقوم بالأذان في أذنه، ويصحبه وأمّهُ إلى حجرتها ويطمئنّ عليها ثم ينصرف. تصوَّرْ يا جمال لم يؤذّن أحدٌ في أذن ولدي!.

قال جمال وهو يحاول تخفيف التوتّر:

ـ لا عليكما، أنا سوف أؤذن في أذنه، أين هو؟

قالت حصّة بكآبة:

ـ سَيُحْضرونه بعد قليل. أنا أعرف أنّ خالداً لا يحبّني ولا يطيق العيش معي. ولكنّ ابنه الأول والوحيد، كيف يتجاهله بهذه الطريقة القاسية؟ ألا توجد في قلبه ذَرّةٌ من العطف والحنان؟!.

ردّ جمال مدافعاً:

ـ مَنْ قال إنّ خالداً لا يحبك؟ إنك تتخيّلين أشياء لا وجود لها. ثم هل أَخْبره أحد في الليلة الماضية بموضوع الولادة؟

انبرت الأم للكلام وقالت بغضب محتدم:

ـ ما هذا الكلام الفارغ يا جمال؟ إنه يعرف أنّ هذه الأيام هي نهاية الشهر الأخير لحمل زوجته، وعلى الرغم من ذلك فهو مقيم منذ شهر كامل مع والدته في أبو ظبي ينعم بالهدوء وراحة البال.

قال جمال موضحاً:

ـ والدته مريضة وتحتاج إلى بقائه إلى جانبها.

اشتركت الأختُ في النقاش:

ـ والدته لها ستّة أولاد وأربع بنات ولا تحتاج إليه.

قال جمال: